الكفاح الثوري للكشافة الإسلامية الجزائرية

(1954-1962 م)

جواد عبد اللطيف - طالب دكتوراه-سيدي بلعباس-مخبر الجزائر : تاريخ ومجتمع في الحديث والمعاصر

تمهيد

عند اندلاع ثورة التحرير الوطنية تحركت الكشافة الإسلامية الجزائرية من أفواج وقادة وجوالة، تبعوا لمناطقهم وانضموا للعمل السياسي والعسكري تحت قيادة جبهة التحرير الوطني، حيث طلب منهم الالتحاق بشخصيا، وبعد وصول معلومات للشرطة الفرنسية (1) مضمونها التحاق العناصر الكشفية بجبهة التحرير ألقى القبض على قادة الكشافة الإسلامية الجزائرية غداة الفاتح من نوفمبر 1954 م. لكن بعض الأفواج الكشفية واصلت نشاطها في بعض المدن الكبرى خاصة عمر لاغا رئيس الكشافة الإسلامية الجزائرية باتصال مع بن مهدي الذي حافظ على نشاط هذه الحركة، وكان للأفواج محلات استعملت كأمكنة لاجتماعات مناضلي الجبهة، كما أن القادة تحملوا كل الضغوط الإدارية العسكرية الاستعمارية (2)، وسأحاول من خلال هذا المقال التطرق إلى بدايات الاتصال الأولى لجبهة التحرير الوطني بقيادة الكشافة الإسلامية الجزائرية ومساهمة قادة الكشافة الإسلامية في الثورة وكذا تأسيس الأفواج الكشفية الثورية.

1- جبهة التحرير ترسل الكشافة الإسلامية الجزائرية

في شهادة لأحد قدماء الكشافة الإسلامية الجزائرية اسمه محمد واعر، وذلك في جريدة المجاهد بتاريخ 14 جانفي 1982م بعنوان "عناصر من الكشافة الإسلامية الجزائرية في الجهاد" ذكر صاحبها طريقة اتصال جبهة التحرير الوطني بقيادة الكشافة الإسلامية الجزائرية، حيث قال أنه في شهر ديسمبر 1954م أين لم تمر سوى بضعة أسابيع فقط على اندلاع الثورة انعقدت جمعية عامة استثنائية هامة للكشافة الإسلامية الجزائرية في سيدي فرج، خلالها قررت هيئات الكشافة الجزائرية بما فيها اللجنة المديرية إلغاء كل النشاطات على غرار المخيمات والجولات والخرجات الليلية بسبب غياب الأمن والخطر السائدين والخوف من استفزازات السلطات الاستعمارية التي لا مفر منها، والتي يرتكبا الاحتلال وشرطته، أعطيت الكلمة للرئيس محمد القشعي منذ افتتاح جلسة هذه الجمعية، أعطانا قائمة الحاضرين (3)

وهم أعضاء اللجنة المديرية، الأخ الطاهر التجيني، القائد العام ونائبه الشيخ بو عمران) الشيخ عبد الصمد بولنوار، الشيخ محمد الغسيري والشيخ الحفناوي وكلاهما مرشد في الكشافة الإسلامية الجزائرية وعضو في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بمدينة الجزائر، كذلك السيد الصادق الفول، محمود بن محمود، الأستاذ جيجلي من قسنطينة، الأخ حمادة والأخ بوقندورة من سوق أهراس، الأخ إبراهيم مبروك من فرندة، المسؤول العام

للخزينة الأخ قاصد علي من مليانة وجميع القادة المحليين و مندوبي الجزائريين المتواجدين بفرنسا.

تم الاستماع لجدول الأعمال من طرف جميع الحاضرين الذين فهموه، قبل أن يقرأ علينا رسالة مستعجلة وهامة بعثت لنا من طرف إخواننا في جبهة التحرير الوطني أي من مسؤولي ثورة أول نوفمبر ونصت على: "الأخ أو عمران المدعو بوقروي يدعو حركات الشبيبة أن تلتحق بصفوف المنظمة الثورية لكن بصفة فردية وليس باسم الجمعية الكشفية"، بعدها أخذ الطاهر التجيني -آنذاك أستاذ في ثانوية غويلمين- الكلمة وكرر النداء مركزا على الصفة الفردية لانضمام كل واحد منا حتى لا يتضرر مسؤولوا جمعية الكشافة المسلمين الجزائريين وهذا حتى يكون كل شيء واضحا بين الجمعية وأعضائها " إن إخواننا في جبهة التحرير الوطني في حاجة إلى مشاركتكم في الكفاح التحريري للجزائر "الأرض الخالدة للرجال العدول"، ثم أعطى الرئيس محمد القشعي الكلمة للشيخ الحفناوي المرشد الديني(اعتقل وسجن من طرف اليد الحمراء) في نهاية 1956 بمقر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالجزائر العاصمة الذي عقب بهذه العبارات: " الكشافة التي يعود تاريخها إلى عهد لرسول صلى الله عليه وسلم لعبت دورا كبيرا في ميدان الوعى الإسلامية، إخلاصها وتضحياتها كانت كبيرة وهذا ما دفع بادن باول أن يستلهم مشروعه من منظمة الرسول صلى الله عليه وسلم، فيما يخص الربط والاتصالات من مخيم إلى آخر بعزم.(4)

وهكذا كان الكشاف بمثابة طليعة ومؤطر للجيش وإذا وجه لنا إخواننا المجاهدون النداء علينا أن نجيب: حاضر، لأن غايتنا هي: " الموت أو العيش رجالا مستقلين، هذا هو شعارنا" واختتم الشيخ الحفناوي خطابه قائلا: " إخواني لا تظنوا أن الاستعمار سيبقى مكتوف الأيدي سوف يحرق بيوتنا ويقتل نساءنا وأطفالنا، وسيحاول إبادتنا لكن سننتصر، لأن يد الله فوق النفوس الشريرة حتى ولو كان هذا آخر لقاء يجمعنا، رغم ذلك ثقوا في الله لأن الله لا ينسى أبدا تضحيات الرجال الذين ضد الظلم، لأن الذين سيعيشون سيقولون سلاما على شهدائنا، لذا اطلبوا الموت كي تأتكم الحياة" الجمعية تأثرت لهذا الخطاب، اختتم الأخ القشعي هذه الجمعية مركزا على خطورة الوضع ودعا مرة أخرى كل واحد منا لتحمل مسؤولياته شخصيا لأن ساعة الخيار قد حانت فالحدث الذي نعيشه كبير وكل كشاف جدير بالتربية التي تلقاها عليه أن يقوم بواجبه: الموت شهيدا أو الحياة في ظل الكرامة والشرف، رفعت الجلسة بترديد نشيد (من جبالنا) بعد سبعة أيام من المناقشات وهي آخر جمعية عامة عقدت في ديسمبر 1954م.(5)

2- نشاطاتها خلال الثورة:

عند اندلاع الثورة التحريرية عام 1954، تسابقت العناصر الكشفية للالتحاق بصفوف الثوار وهذا بعد حلها كبقية المنظمات بأمر من القيادة الثورية فتدعمت جبهة

التحرير وجيش التحرير الوطني بكفاءات شبانية تتمتع بروح انضباطية عالية وغيره وطنية حيث أثبتت ولاءها وإخلاصها للوطن عند تبنيها للمبادئ الثورية (6) " لقد وجدت الثورة في الكشافين خير العناصر الواعية المدربة على العمل والنظام المشبعة بالروح الوطنية عن فهم واقتناع، المدركة لكل الأبعاد الثورية التحريرية، فكانت منهم الجبهة والجيش خير الإطارات النضالية السياسية والعسكرية وأثبتوا جدارتهم في خدمة بلادهم بصدق وإخلاص وتفان، سواء في الجبال والأدغال أو في الأعمال الفدائية داخل المدن والقرى، وغير ذلك من الأعمال الاجتماعية والإسعافية التي كانت تتطلبها الثورة في كل ميدان" (7)

فعلا لقد استعان ضباط جيش التحرير الوطني بخبرة كثير من القادة الكشفيين في مجال التدريب العسكري والمجال الصحي لامتلاكهم خبرات في ميدان الإسعاف والإنقاذ، بحيث أن أغلب الأطباء والممرضين قد اكتسبوا خبرات في مجال التمريض عن طريق الكشافة الإسلامية الجزائرية أو عبر تربصات جد قصيرة (8)

وفي هذا الإطار دائما استمر النشاط الكشفي خلال الثورة المسلحة وقدم دعما ماديا ومعنويا خاصة في استعمال مقرات الحركة الكشفية كملاجئ ومستشفيات سرية ومخابئ للذخيرة والأدوية (9)، وقد اعتبر محمد حربي الكشافة الإسلامية الجزائرية أحد التيارات الوطنية التي تتركب منها حركة التحرير الوطني والتي يتجاوز إشعاعها حدود الأحزاب التي تشرف عليها (10) ونظرا لأهمية التنظيم الكشفي قام قادة الثورة بالخارج خاصة بتونس والمغرب بتأسيس أفواج كشافة أشبال الثورة حيث قاموا بتدريب أبناء اللاجئين وتأطيرهم من أجل إلحاقهم بالتنظيم السياسي والعسكري لجبهة التحرير الوطني، وكانت هذه الأفواج مهيكلة في خلايا سرية تعمل حسب مناهج ثورية مدروسة (11) وعلى سبيل المثال أسس قادة الثورة بالخارج فوج الجبل الأحمر بتونس، هذا الأخير انخرط عدد من جوالته في جيش التحرير وصعدوا للجبال (12) وسأطرق في العنصر الموالي إلى التعريف بتنظيم كشافة أشبال الثورة وأبرز مهامها من خلال شهادة لإحدى المنخرطات في التنظيم بالتراب التونسي (13)

3- تأسيس كشافة أشبال الثورة الجزائرية

نظرا للظروف التي وجد فيها التنظيم وكذا تبعيته لجيش التحرير الوطني، يمكن أن نعرف تنظيم كشافة أشبال الثورة الجزائرية بأنها منظمة مدنية شبه عسكرية كانت تعمل تحت قيادة التنظيم السياسي والعسكري لجبهة وجيش التحرير الوطني بالتراب التونسي، يشرف على تدريب أفواجها جنود جيش التحرير الوطني، حيث كانوا يعلمونهم دروسا في اللغة العربية والأناشيد الوطنية مثل: حكاية العلم، أيها الأم، أنا لاجئ غريب، لغة الأجداد... كما كانوا يتلقون تدريبات رياضية من أجل تجهيزهم للجهاد ضد المستعمر الفرنسي (14)

أ- مهامها:

كان جنود جيش التحرير الوطني المرابط في الجبال التونسية الحدودية يكلفون أعضاء كشافة أشبال الثورة بنقل الألبسة إلى المخيمات وغسلها، وكذا جلب الطعام وإرساله إلى الجنود، وكان أعضاء الجيش - حسب الشهادة- يوصون أشبال الكشافة بكتمان أسرار الجبهة والجيش في حالة وقوعهم في يد العدو.

ب- قواعدها:

حسب الشهادة السابقة فإن أعضاء كشافة أشبال الثورة كانوا ينتقلون مع جيش التحرير الوطني المرابط بدولة تونس من قاعد لأخرى، حيث أقاموا بعدة مناطق بتونس نذكلا منها: منطقة قرن حلفاية، وبلدة تاج روين التي تقع على بعد 40 كلم جنوبي الكاف وعلى بعد 10 كلم عن الحدود الجزائرية، وهي إحدى القواعد المهمة التي تمركز بها جيش التحرير الوطني، كذلك مدينة غار الدماء (15) التابعة لمحافظة جندوبة والتي كانت تستخدم كمقر للقيادة العامة لجبهة التحرير الوطني خلال الثورة (1958-1962م).

(16).

خاتمة

لقد لعبت الكشافة الإسلامية الجزائرية دورا فاعلا في تاريخ الحركة الوطنية والثورة الجزائرية، هذا ما دفع بالمستدمر الفرنسي إلى مراقبتها و سجن قادتها بتهمة الاتجاه الوطني والميولات الإسلامية الداعية إلى العمل التحرري، كما أن قادة الكشافة انخرطوا في الثورة التحريرية بالداخل والخارج وأسسوا أفواجا كشفية ثورية تحت مسؤولية جيش التحرير الوطني بتونس والمغرب، عملوا من خلالها إلى مساندة الكفاح التحرري، والتعريف بالقضية الجزائرية في إطار المنظمات الكشفية.

الهوامش:

- 1- لقد كانت مصالح الاستعلامات التابعة للشرطة الفرنسية تراقب نشاطات الكشافة الإسلامية الجزائرية وقياداتها خاصة أولئك الذين كانت لهم علاقة بحزب الشعب الجزائري PPA، وحسب التقرير السري (أرشيف ما وراء البحار A.O.M) الذي يحمل رقم: 1094 NA/3 الذي كتبه الكولونيل بول سكوين " PAUL SCHOEN " في النشرة السياسية الشهرية لشهر أفريل 1954 والذي جاء فيه بأن هناك اتجاه جديد برز في حزب الشعب سماه بالحياديين وذكر بأن بعض قادة الكشافة المسلمين الجزائريين S.M.A ومنهم بوززو ولاغا الذي قال التقرير عنهما أنهما يبديون محايدين. أنظر: رايح بلعيد، مقال بعنوان: "مجموعة الخمسة وميلاد القوة الثالثة"، جريدة الأطلس، العدد 147، الاثنين 21-27 جويلية 1997م، الحلقة 55.
- 2- محمد الطيب إيلول وعلي عرو، فوج الأمير خالد ببلكور-من رواد الكشافة الإسلامية الجزائرية، دحلبل للنشر، د.ط، د.ت، ص 69.
- 3- أبو عمران الشيخ ومحمد جيجلي، الكشافة الإسلامية الجزائرية (1935-1955)م، دار الأمة، د.ط، 2010م، ص 400.
- 4- المصدر نفسه، ص 401.
- 5- المصدر نفسه ص 401.

6- في ديسمبر 1954 بعث أبو عمران المدعو "بوقروي" برقية مستعجلة لقادة منظمة الكشافة الإسلامية الجزائرية يدعوهم فيها للتلاحق بصفوف المنظمة الثورية، لكن بصفة فردية وليس باسم الجمعية

- الكشافية. راجع: أبو عمرن الشيخ ومحمد جيجلي، الكشافة الإسلامية الجزائرية (1935-1955)، دار الأمة، د. ط، 2010، ص 400.
- 7- محمد الصالح رمضان، تاريخ الكشافة الإسلامية الجزائرية، مجلة الثقافة، العدد 70، جويلية- أوت 1982، ص 59-60.
- 8- محمد تومي، مجلة الجيش، عدد 376، نوفمبر 1994، ص 38.
- 9-Mohamed Tayeb Illoul-Ali Aroua ,Le groupe Emir Khaled de Belcourt,Un maillon des scouts Musulmans Algériens,1946-1962,Ed.Dahleb,1991,p75
- 10- محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، ترجمة: نجيب عياد وصالح المثلوثي، موقف للنشر، الجزائر، 2007، د. ط، ص 15.
- 11- المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الكشافة الإسلامية الجزائرية، بدون طبعة، بدون سنة، ص 60.
- 12- الرجوع نفسه ص 86.
- 13- شهادة السيدة جميلة جواد بنت التليلي، مقابلة بتاريخ يوم الجمعة 24 سبتمبر 2012 بمنزلها الكائن بالزاوية ولاية سكيكدة.
- 14- نفس المصدر (المقابلة)
- 15- نفس المصدر (المقابلة)
- 16- عاشور شرفي، قاموس الثورة الجزائرية (1954-1962)، ترجمة: عالم مختار، دار القصبة، الجزائر، دون طبعة، 2007م، ص 105.